خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٥/٠٢

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✿✿✿✿✿

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

منذ بضعة خطب ماضية أبين طرق معرفة الله وحبه تعالى وحقيقة وجود الله ﷻ من خلال مقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام. واليوم أيضا سأقدم بعض المقتبسات الأخرى من هذا الكنـــز العلمي التي ذكر المسيح الموعود عليه السلام فيها بعض الأساليب للحصول على قرب الله الحقيقي وأهميته وذكر أيضا ما كان يتوقعه من الجماعة للحصول عليه.

فقال المسيح الموعود عليه السلام بأنكم إذا كنتم تريدون أن تصلوا إلى الله تعالى فلا بد لكم من الإدراك أن البر الحقيقي مرتبط بذات الله تعالى ويأتي منه نتيجة العمل بتعليمه ﷻ، وبالنتيجة يحصل الإنسان على إنعامات الله وقربه. فيقول عليه السلام:

"ما من بارٍّ حقيقي سوى الله تعالى، فله الأخلاق الفاضلة كلها والحسنات كلها. لذا بقدر ما يورد الإنسان الفناء على ذاته ومشيئته وينال قرب ذلك الذات الذي هو الخير المحض تنعكس في شخصه الأخلاق الإلهية.

(أي بقدر ما يسعى أحد لنيل قرب الله مترفعا عن نفسه ورغباته الشخصية ينال قربه على وجه الحقيقة، وتنعكس فيه الأخلاق الإلهية. وهذه النتيجة تحصل حين يتخلى الإنسان عن رغباته الشخصية ويسعى ليفنى في الله، عندها تعلوه صبغة الله. ثم بقدر ما ينصبغ المرء بصبغة الله يوفَّق للعمل بأوامره أكثر فأكثر)

فالميزات والتحضّر الصادق الذي يحرزه الإنسان، إنما يحرزه نتيجة قربه من الله ﷻ، وهكذا يجب أن يكون؛ لأن المخلوق ليس شيئا يُذكر في حد ذاته. فالأخلاق الفاضلة الإلهية إنما تنعكس في قلوب الذين يتبعون القرآن كليا.

(أي أن أخلاق الله الفاضلة إنما تنعكس وتظهر على قلوب الذين يّتبعون القرآن الكريم اتباعا كاملا)

تبين التجربة الصحيحة أنه لا يوجد في الدنيا نظير للصفاء والحماس المليء بالحب والذوق الروحاني الذي تصدر به الأخلاق الفاضلة منهم. مع أن كل شخص يستطيع أن يدّعي ويطلق للسانه العنان بالتباهي والتفاخر، ولكنهم وحدهم يستطيعون أن يعبروا بسلام باب التجربة الصحيحة الضيقِ. أما الآخرون فإذا كانوا يظهرون بعض الأخلاق الفاضلة فإنما تصنُّعا وتكلُّفا. *(أي الذي يحاول أن ينصبغ بصبغة الله ويسعى للعمل بأوامر القرآن الكريم تظهر منه هذه الأخلاق، أما الآخرون الذين يُظهرون أخلاقا في الظاهر إنما يُظهرونها تصنعا وتكلفا فحسب)...*

ويُخفون شوائبهم ويسترون أسقامهم ويبدون التحضر الزائف. *(أي يخفون ما يعلوهم من الصدأ. وما يظهر منهم من الأعمال لا تخبر بأخلاقهم الحقيقية بل هو تمويه ظاهري وتصنعٌ فقط)* فيُفضح أمرهم في أبسط الامتحانات.

(فمثلا عندما تُرفق القضايا في المحاكم يفتضح أمرهم ويتميز الحق من الباطل، وتتبين أخلاقهم وإلى أيّ مدى يكذبون ويخفون الحق، وما هي أخلاقهم التي يُظهرونها. لقد ضرب المصلح الموعود ﷺ مثلا أنه قرر ذات مرة مجلس المثقفين الكبار الذين كانوا يُعدّون كبارا في المجتمع أن يعقدوا جلسة يتصرفون فيها بغير أدنى تكلّف، فكان معيار خلوها من التكلف أنهم ارتكبوا كل نوع من السخافة وبذلك انكشفت حقيقتهم)

ويتصنَّعون ويتكلفون في إظهار الأخلاق الفاضلة في معظم الأحيان، لأنهم في ذلك يرون جمال دنياهم وحسن نظام حياتهم.

(لماذا يُظهرون هذا التكلف والتصنع والأخلاق المزعومة؟ لأنهم يشعرون أنهم بحاجة إليها في دنياهم وفي مجتمعهم ويستفيدون من تلك التصرفات، ولا يفعلون ذلك لنيل رضا الله تعالى)

ولو اتّبعوا شوائبهم الباطنية في كل مكان لوقع الخلل في مهمات الحياة. *(يحسبون أنهم لو اتبعوا أهواءهم النفسانية التي تشوبهم شوائب مختلفة تتضرر مشاغلهم الدنيوية لذا لا يهدفون من إظهار تلك الأخلاق إلا منفعتهم الشخصية وليس تنفيذ الأخلاق في الحقيقة، ولا يكون عملهم بالأخلاق لنيل رضا الله تعالى ولا لإفادة الآخرين)*

ومع أنه توجد فيهم أيضا بذرة الأخلاق بقدر مؤهلاتهم الفطرية، ولكنها تبقى محجوبة تحت أشواك الأهواء النفسانية، ولا تظهر للعيان خالصة لوجه الله تعالى دون شوائب الأهواء النفسانية دع عنك وصولها الكمالَ. الحق أنها تبلغ مبلغ الكمال خالصة لله ﷻ في الذين يصبحون لله تعالى وحده، والذين يجد الله نفوسهم خالية من شوائب المغايرة كليًّا فيملأها بأخلاقه الطيبة. *(أي يفعلون كل ذلك لوجه الله ويتطهرون من المغايرة أي من فكرة غير الله نهائيا. فيملأهم الله بأخلاقه الطيبة)*

ويحبِّبها إلى قلوبهم كما هي محبَّبة إليه ﷻ. فينالون مرتبة التخلُّق بأخلاق الله لكونهم فانين فيه، وكأنهم يصبحون وسيلة يُظهر الله تعالى أخلاقه بواسطتها. يجدهم ﷻ جياعا وعطاشى فيسقيهم ماء زلالا من عينه الخاصة.

ثم قال حضرته عليه السلام عن طرق الحصول على قرب الله بأن: الله تعالى لا يُخدع، فلا يقرّب إليه أحدا إلا الذين يسبحون بطبيعتهم دائما في بحر حب الله كما تسبح الأسماك في بحر مادي، ويصبحون له كليا ويفنون في طاعته. فلا يمكن لصالح أن يقول بأنه ما من بارّ سوى الله ولن يتطهر أحد أبدا *(كما يقول البعض، فهنا يعلّق عليه السلام على أقوال أتباع بعض الأديان)* وكأن الله تعالى خلق عباده عبثا. بل المعرفة الحقيقية توحي بأن سنة الله في البشر منذ البداية هي أنه يطهِّر عباده. الله هو المصدر الحقيقي للطهارة. الذين ينهمكون في ذكره بالحب والعبادة يصبِّغهم الله بصفاته فينالون نصيبا بصورة ظلية من الطهارة التي هي موجودة فيه.

ثم يقول بأن الأخلاق الفاضلة والحسنات ووسائل الحصول على قرب الله والتعليم الذي قدمه الله تعالى لنا يُنال نتيجة اتّباع رسول الله ﷺ الكامل. فيقول عليه السلام: نؤمن بأن أدنى درجة الصراط المستقيم أيضا لا ينالها الإنسان بغير اتباع رسول الله ﷺ ناهيك أن ينال مدارج عليا بغير الاقتداء بإمام الرسل ﷺ. لا يمكننا أن ننال مرتبة شرف وعزة بغير الطاعة الصادقة والكاملة لنبينا الأكرم ﷺ، فكل ما نناله إنما نناله بصورة ظلية وببركته ﷺ.

ثم يقول مبينا حقيقة الإسلام وكيف يجب أن يكون المسلم وإلى أي درجة من قرب الله يجب أن يصل المؤمن:

إن حقيقة الإسلام هي تسليم العُنق إلى الله تعالى للذبح مثل الشاة، وتركُ الإنسان جميع إراداته، وفناؤه في رضا الله تعالى، وقبولُ ضرب من الموت لنفسه بعد الفناء في الله، والاصطباغُ بصبغة حب الله بصورةٍ كاملة، ثم القيامُ بطاعته – نتيجة حبه الذاتي وليس لأي سبب آخر، والحصولُ على عينين لا تريان إلا بالله، وأذنينِ لا تسمعان إلا بالله، وقلبٍ خاضع لله وحده، ولسانٍ لا ينطق إلا بإنطاقه. هذا هو المَقام الذي تنتهي إليه كل أنواع السلوك؛ حيث تكون القوى الإنسانية قد أنجزت كافة المهام الموكولة إليها.

(أي على الإنسان أن يسعى جاهدا أن يمر بكل المشاكل الواردة عليه من أجل الوصول إلى الله تعالى ويسعى جاهدا لنيل رضا الله تعالى)

ويطرأ على نفسانية الإنسان موت كامل؛ عندها تَهَب رحمة الله ذلك الإنسانَ حياة جديدة بكلامه الحي وأنواره الساطعة، فيتشرّف بكلام الله العذب. وعندها فإن النور الأدق الذي لا يمكن للعقول أن تكتشفه، ولا تصل العيون إلى كنهه، يقترب إلى قلب الإنسان تلقائيا. كما يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. فهكذا يشرِّف الله تعالى الإنسان الفاني بقربه، فيأتي وقت يزول فيه عماه وتستنير عيناه؛

فيرى ربه بهاتين العينين الحديدتين، ويسمع صوته، ويجد نفسه ملفوفًا برداء نوره ﷻ. عندها تكتمل الغاية من الدين، ويخلع الإنسان عن جسمه لباس الحياة السفلية بعد رؤيته الله ﷻ ويلبس لباس النور. فلا ينتظر رؤية الله تعالى والجنة كوعدٍ يتعلق بالآخرة فقط، بل يحظى برؤيته ﷻ ومكالمته ونَعماء الجنة في هذه الدنيا. (محاضرة لاهور)

الاستغفار الذي تتقوى به جذور الإيمان، ورد في القرآن الكريم على معنيَين: الأول: ترسيخ حب الله في القلب – من خلال الصلة به ﷻ – وردع صدور الذنوب التي تثور في حالة الابتعاد عنه تعالى، وطلب العون من الله تعالى من خلال التفاني فيه.

هذا هو استغفار المقربين الذين يعدّون الانفصال عن الله هلاكا ولو لطرفة عين. إنهم يستغفرون ليثبتهم الله على حبه. *(يجب الاستغفار دائما لكي يذكر المرُء ربّه تعالى ويترسخ حبه في قلبه في كل حال وفي كل حين، وهذا هو استغفار المقربين الذين يحسبون البُعد عن الله ولو لطرفة عين مدعاة لهلاكهم).*

والنوع الثاني من الاستغفار هو التخلص من الذنوب والفرار إلى الله، والسعي لترسيخ حب الله في القلب كالشجرة الثابتة في التربة، وذلك لكي يتربى المرء تربية طيبة، فيجتنب جفاف الخطيئة والهلاك.

سُمّي هذان النوعان بالاستغفار.

ثم يقول عليه السلام: هناك عدة مراتب لمعرفة الله والمرتبة الأعلى مرتبة قرب الله التي بها نعرف الله على أحسن وجه. لذا يجب على المرء ألا يفرح فقط على أنه رأى بعض الرؤى الصادقة أو كشفا أو تلقى إلهاما لأن بلعام باعور أيضا تلقى إلهاما ولكنه تعثّر على الرغم من ذلك لذا يجب أن تبحثوا عن سبل قرب الله، والمعلوم أن الإنسان لا ينال قرب الله إلا بالارتباط بصفِيِّ الله الذي ينوِّر الله قلبه بنوره باستمرار فيصبح رضا العبد هو رضا الله.

فيقول: الله نور، كما قال: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ فالذي يرى لوازم هذا النور فقط مثله كمثل الذي يرى الدخان من بعيد ولا يرى ضوء النار. لذا يحرم من فائدة الضوء، وحرقة النار التي تحرق شوائب البشرية *(إن فوائد الضوء والنور تُنال بالاستغراق في الله تعالى، ولكن الذي يرى من بعيد يحرم منها وكذلك من الحرقة التي تحرق شوائب البشرية الذي تحيط بالإنسان)* فالذين يريدون أدلة على وجود الله نقلية وعقلية وظنية مثل علماء الظاهر أو الفلاسفة أو الذي يريدون أن يعرفوا الله تعالى نتيجة مواهبهم من كشوف ورؤى يحرمون من نور قرب الله. *(يقول عليه السلام هنا بأن هؤلاء الناس يملكون أدلة عقلية ونقلية ويعتمدون أحيانا على الإلهامات والرؤى، كذلك الفلاسفة أو الذين تقتصر روحانيتهم على أنهم يرون بعض الرؤى الصالحة والكشوف أحيانا فيؤمنون بالله بناء على ذلك- يقول المسيح الموعود عليه السلام عنهم بأنهم مع كل هذه الأشياء يحرمون من نور القرب الإلهي)*

مثلهم كمثل الذي يرى الدخان من بعيد ولكن لا يرى ضوء النار بل يوقن بوجود النار نظرا إلى الدخان فقط.

ثم يقول عليه السلام مبينا مدارج القرب والعلاقة مع الله تعالى.

جدير بالانتباه أنه لما كانت مدارج القرب والعلاقة مع الله تعالى متفاوتة فلو تصدى أحد، وإن كان مقربا إلى الله، لمن كان أعلى منه وأكبر بكثير من حيث درجة القرب والحب لكانت النتيجة النهائية أن الأدنى قربا لله لا يهلك فقط بل يموت محروما من الإيمان كما حدث مع بلعام باعور مقابل موسى.

(أي أن أعلى مقام القرب عند الله هو مقام رسول الله، ثم في الزمن الراهن أعطى الله ﷻ هذه المكانة للمسيح الموعود عليه السلام بسبب اتباعه الكامل وطاعته الكاملة لرسول الله عليه السلام. فمن طلب قرب الله تعالى في العصر الراهن بعيدا عن المسيح الموعود ستكون عاقبته كعاقبة بلعام باعور)

ثم قال حضرته عليه السلام: إن قرب الله ﷻ لا يُنال إلا باتباع القرآن الكريم فالله تعالى يُظهر الآيات من أجل الفائز بهذا القرب، إذ لا تكون ادعاءات فارغة فقط. فقال: كل من يباري الذي يتبع القرآن الكريم اتباعا حقا، فإن الله ﷻ يكشف عليه بآياته المهيبة أنه مع عبده الذي يتبع القرآن الكريم، كما كشف على ليكهرام، إذ حدث موته في حالة كان يتأكد أن الله قد صدّق الإسلام بموته. باختصار يجذب الله ﷻ على هذا النحو بتصرفاته الحية متَّبعَ القرآن الكريم باستمرار ويرفعه إلى منارة قربه العالية.

ثم يقول حضرته عليه السلام: "الجدير بالتذكر جيدا أن في كل شيء منافع، فانظروا إلى العالم فلا شيء يخلو من الفوائد والمنافع للإنسان من النباتات السامة جدا إلى الديدان والفئران. فكل هذه الأشياء سواء كانت أرضية أو سماوية هي ظلالُ صفات الله وآثارُها، فإذا كانت ظلال الصفات تتمتع بالمنافع فقط فأخبروني كم يمكن أن تكون الذات الأصلية متمتعة بالمنافع والفوائد. هنا يجب أن نتذكر أنه إذا كنا نتضرر من هذه الأشياء أحيانا فإنما نتيجة الخطأ، وسوء الفهم، وليس لأنها ضارة أصلا. كلا بل حين يتضرر الإنسان بشيء فإنما بخطئه فقط. *(فمثل ذلك نتضرر ونتألم أحيانا لعدم معرفتنا ببعض صفات الله وإلا فالله ﷻ كله رحمة وكرم، فالسر لمواجهتنا للألم والمصاب في هذه الدنيا أننا نتعرض للمصائب بأيدينا وسوء فهمنا وقصور علمنا،)* فمن نافذة عين الصفات نجد الله رحيما وكريما ونافعا أكثر مما يُتصور، وإنما يتمتع بهذه المنافع من يتقرب إليه أكثر ويدنو منه، ولا ينال هذه الدرجة إلا المتقون والحائزون على قربه. فقدر ما يتقرب المتقي إلى الله ينال نور الهدى الذي يخلق في معلوماته وعقله ضوءا من نوع خاص، وقدر ما يبتعد عنه يحلّ على دماغه وقلبه ظلامٌ مهلك، حتى يصير مصداقا لـــ "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" ويصير محلَّ الذلة والهوان، بينما الإنسان المتمتع بالنور والضوء مقابله ينال راحة وعظمة من الدرجة السامية، فقد قال الله ﷻ نفسه، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾.

يقول حضرته عليه السلام إنما المراد من ذلك أن يا أيتها النفس الحائزة على الطمأنينة بالله، ثم وضَّح حضرته أن بعض الناس ينالون الطمأنينة في الظاهر بالحكم، كما يطمئن البعض الآخرون بالذرية والأقارب والمعارف، لكن ذلك كله لا يهيئ لهم الطمأنينة الصادقة، بل قدر ما يحرزون في الظاهر هذه الطمأنينة

يزيد عطشهم أكثر على شاكلة مريض السهاف (أي العطش الشديد المتكرر) ولا يطمئنون، وأخيرا يُهلك هذا المرض الإنسانَ في نهاية المطاف، لكن الله ﷻ يقول إن الإنسان الذي نال هذه الطمأنينة بالتقرب إلى الله، فهو وإن كان حائزا على ثروة ضخمة فلا يبالي بها أي مبالاة مقابل الله ﷻ، فلا تكون الدنيا غايته المتوخاة، بل ينشد الراحة الأصلية التي توجد في الله ﷻ.

ثم قال حضرته عليه السلام: لقد فهَّمنا الله ﷻ أن كل راحة للإنسان تكمن في قرب الله وحبه، أما حين يقطع الإنسان علاقته به ويميل إلى الدنيا فهي حياة جهنمية وكل إنسان يطَّلع على هذه الحياة الجهنمية في نهاية المطاف وتتبين له، حتى لو اطلع عليها حين موته تاركا كل علاقات الدنيا.

باختصار، في مرحلة من المراحل يطّلع أن الدنيا جهنمية، حتى لو اطلع المرء على ذلك عند الموت.

ثم قال حضرته عليه السلام:

إن أكبر السعادة التي لا سعادة بعدها إنما تُنال في الله تعالى. الجنة تطلق على الشيء المغطى، وتسمى الجنة جنة لأنها مغطاة بالنعم، والجنة الحقيقية هو الله الذي لا يمكن عزو التردد إليه، ومن أجل ذلك جعل الله تعالى أعظم نعم الجنة رضوانه حيث قال: (ورضوان من الله أكبر). إن الإنسان يظل كبشر عرضةً لأذى أو ألم ما على الدوام، ولكنه بقدر ما ينال قرب الله ويتخلق بأخلاق الله ينعم بالراحة والسعادة، وبقدر ما يتقرب إلى الله تعالى ينال نصيبا من نعم الله حتما، ولفظ الرفع يدل على ذلك.

وقال عليه السلام عن مصير الذين يسعون للفوز بقرب الله تعالى:

من يسْلم نفسه لله تعالى ويقف حياته في سبيله ويتحمس لفعل الخيرات ينلْ نصيبه من نبع قرب الله تعالى، ولا خوف عليه ولا حزن، بمعنى أن الذي يسخر جميع كفاءاته في سبيل الله تعالى ويصبح قوله وفعله وحركته وسكونه وكل حياته لله خالصة، ويكون نشطًا في عمل البر الحقيقي، يجد أجره عند الله تعالى ولن يخاف ولن يحزن.

ثم يقول عليه السلام عن الدعاء الذي هو الذريعة للفوز بقرب الله تعالى:

إن مثل الدعاء كنبع ماء عذب يجلس عليه المؤمن ويرتوي منه متى يشاء، وكما أن السمكة لا تستطيع العيش بدون الماء، كذلك فإن ماء المؤمن هو الدعاء الذي لا يمكنه العيش بدونه. وإن المحل الحقيقي للدعاء هو الصلاة، التي يجد فيها المؤمن الراحة والسرور اللذين لا تساويهما المتعة القصوى التي يجدها المستهتر في ارتكاب أي حرام. إن أكبر ما في الدعاء هو قرب الله تعالى، وبالدعاء يتقرب الإنسان من الله تعالى ويجذبه إليه.

لذا فلا بد للفوز بقرب الله تعالى من أداء حق الصلوات، ولا يمكن أداء حقها إلا إذا واظب عليها المرء وأداها كما أمر الله تعالى.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو يحثّ على بلوغ أعلى المستوى في الدعاء:

يجب أن يلتاع قلب الإنسان شوقا لنيل قرب الله تعالى، مما يجعله ذا قيمة عند الله تعالى، أما إذا خلا قلبه من هذه اللوعة ويلتاع للدنيا وما فيها فقط، فسوف يهلك بعد مهلة. إن الله تعالى يعطي المهلة لأنه رحيم، ولكن الذي لا يغتنم الحِلم الإلهي فماذا يفعل به. فمن سعادة الإنسان أن ينشئ مع الله تعالى صلة ما على الأقل. إن مركز العبادة هو القلب، وإذا كان القلب يؤدي العبادة ولكن لا يميل إلى الله تعالى فما الفائدة من تلك العبادة، لذا لا بد من ميل القلب إلى الله ميلا تاما. انظروا هناك آلاف المساجد، ولكن هل يوجد فيها إلا العبادة التقليدية. كذلك كانت حالة اليهود في عصر النبي حيث كانوا يعبدون الله كعادة وتقليد فقط، و لم يكن فيهم الميل الحقيقي للقلب الذي هو مغزى العبادة ولذلك لعنهم الله، ففي العصر الحاضر أيضا لا يهتم الناس بطهارة القلوب، أما إذا كانوا يتخبطون في العبادة بآلاف الطرق فلن تجديهم، إنما يخضرّ بستان الأعمال بطهارة القلب، ولذلك قال الله ﷻ ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها﴾ أي لن يتمكن من الأهداف إلا من طهَّر قلبه أما الذي لن يطهِّره بل سوف يدسه في التراب أي يجعله مستودعا للأهواء السفلية فيبقى خائبا وخاسرا. لا ننكر أن آلاف العقبات تعترض سبل الله، فلو لم تكن لما كان على سطح الأرض أي هندوسي ولا مسيحي، ولَتراءى في كل مكان مسلمون فقط. إلا أن إزالة هذه العقبات أيضا تتحقق بفضل من الله فقط، فهو ﷻ إذا وفَّق الإنسان فيقدر على التمييز بين الحسن والسيئ، لذا يتوقف الأمر في نهاية المطاف على أن يتوب المرء إليه ﷻ ليهب له القوة والقدرة.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو يحثّ على التوبة:

اعلموا جيدا أن الإثم سم يُهلِك آكلَه، ولا يُهلَك فقط بل يُحرَم قربَ الله تعالى ولا يعود أهلاً لنيل هذه النعمة. كلما وقع المرء في الإثم ازداد بعدًا عن الله تعالى، وابتعد عن النور الذي كان يتلقاه نتيجة قرب الله تعالى، ووقع في الظلمات وأصبح فريسة للآفات والبلايا من كل صوب، حتى يسيطر عليه الشيطانُ العدوُّ الأكبر ويهلكه. غير أن الله تعالى قد هيأ سببًا لتفادي هذا المصير الوخيم، ومن استعان بهذا السبب نجا من هوة الهلاك ونال قرب الله ثانية. ما هو ذلك السبب؟ إنه الرجوع إلى الله أو التوبة الصادقة. إن من أسماء الله التوّاب، فإنه يتوب ويرجع إلى العبد. الواقع أن الإنسان حين يرتكب الإثم ينأى عن الله تعالى والله أيضا يبتعد عنه، ولكن حين يرجع إلى الله تعالى، أعني حين يتوب وينيب إلى الله نادمًا على ذنوبه، يهيج رحم الله الرحيم الكريم وكرمه، فيتوجه إلى عبده ويرجع إليه قابلاً توبته، ومن أجل ذلك سُمِّي الله أيضا توّابا. فعلى الإنسان أن يرجع إلى ربه ليرجع هو إليه برحمته.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إن الإسلام يدل على طريقة النجاة التي جعلها الله تعالى منذ الأزل، وهي أن يبحث المرء عن قرب الله تعالى باعتقاد صادق وعمل طاهر وتفانٍ في رضا الله تعالى، ويسعى للفوز بقربه ورضاه، لأن العذاب كله

في بعد الله تعالى وغضبه. فعندما يقترب الإنسان من الله تعالى ويُرضيه بالتوبة الصادقة وسلوك الطريقة الصحيحة والاتّباع الصادق والإيمان بوحدانية الله الحقة، يُرفع عنه العذاب.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو يدعونا إلى القيام بالأعمال الصالحة عموما للفوز بقرب الله تعالى:

إن العمل الصالح نعمة عظيمة. إن الله الكريم يرضى عن الإنسان نتيجة العمل الصالح، فيحظى بالزلفى عند الحضرة الأحدية. ولكن كما أن السُّكْر يكون في آخر جرعة من الخمر كذلك فإن بركات العمل الصالح تكون خفية في آخره، فالذي يواصل إلى النهاية ويبلغ بالعمل الصالح إلى كماله فهو الذي يتمتع بتلك البركات، أما الذي يترك كل عمل صالح في الطريق ولا يوصله إلى كماله المنشود فيُحرَم تلك البركاتِ.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إن ما أعلَمه هو أن المؤمن يُطهَّر ويصبَّغ بصبغة الملائكة، وكلما ازداد قربا من الله تعالى سمع كلام الله ونال السكينة. والآن على كل واحد منكم أن يفكّر في قلبه ليرى هل بلغ هذا المقام؟ الحق والحق أقول إنكم قد قنعتم بالقشر فقط مع أنه ليس ذا قيمة، لأن الله يريد اللب. فكما أن من واجبي صدّ الهجمات الخارجية على الإسلام، كذلك من واجبي خلق حقيقة الإسلام ولبه في المسلمين.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إن عزة الإنسان وأكبرَ ثروة وأعظمَ نعمة له إنما هي أن يفوز بقرب الله تعالى، وعندما يصبح مقربا عند الله تعالى تنزل عليه آلاف البركات، وتنزل هذه البركات من السماء ومن الأرض أيضا. كم سعتْ قريش لإجاحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لقد كانوا شعبًا وكان صلى الله عليه وسلم وحيدا، ولكن انظروا من انتصر ومن باء بالفشل. إن نصر الله وتأييده أكبر آية للمقربين.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو يحثنا على الفوز بمرتبة قرب الله تعالى:

خافوا لعنة الله كثيرًا، فإنه قدُّوس وغيور. الفاجر لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والمتكبرّ لا يستطيع أن يحظى بقرب الله تعالى. والظالم لا يستطيع أن ينال قرب الله تعالى. والخائن لا يستطيع أن يفوز بقرب الله تعالى. وكل من لا يغار لله ﷻ لا يفوز بقرب الله تعالى. والذين يتهافتون على الدنيا كالكلاب والنمل والنسور واطمأنّوا بها لا يستطيعون أن ينالوا قرب الله تعالى. كل عين نجسة بعيدةٌ عن الله تعالى، وكل قلب نجس غافل عنه تعالى. مَن كان في النار مِن أجله ﷻ سيُنجى منها، ومَن بكى من أجله سيضحك، ومَن قطع صلته عن الدنيا لمرضاته سيَلْقاه. كونوا أولياء الله بكل القلب وبكل الصدق وبِقَدَم الحماس، يكُنْ مولىً لكم. ارحموا مَنْ هُم تحت أيديكم وأزواجَكم وإخوانَكم الفقراءَ، لتُرحموا في السماء. كونوا لله – سبحانه وتعالى – حقًّا وصدقًا ليكون هو لكم. (سفينة نوح)

ثم يبين المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام كيف تثور غيرة الله تعالى لمقربيه وكيف يقضي على معارضيهم:

حين تبلغ الإهانة والإيذاء منتهاها، ويصل الابتلاء المقدر في مشيئة الله إلى النهاية، تثور غيرة الله لأوليائه. ينظر الله إليهم فيجدهم مظلومين، ويرى أنهم قد اضطُهدوا وشُتموا وكُفّروا بغير حق، وأُوذوا بأيدي الجائرين، فينبري ليُظهر سُنَّته ويري رحمته لهم، وينصر عباده الصالحين، فيُلقي في قلوبهم ليتوجهوا إليه كل التوجه ويتضرعوا إليه صباح مساء، فتظهر سنته من أجل مقربيه، ويأتي نصره وتأييده لهم، فيذَر الله أعداءهم طعامًا للأسود والنمور. هكذا جرت سنة الله للمخلصين، فإنهم لا يضيَّعون بل يبارَكون، ولا يُحقَّرون بل يُعظَّمون.

لا شك أننا قد رأينا أن سنة الله هذه قد ظهرت للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أيضا، حيث أذلّ الله تعالى أعداءه وأخزاهم، ليس مرة أو مرتين، بل مرارا وتكرارا، ورأينا مشاهد ذلة أعداء الأحمدية وخزيهم ودمارهم في شتى البلاد والأمصار. ولا نزال نرى هذه المشاهد حتى اليوم. وأودّ أن أذكّر اليوم أيضا أبناءَ الجماعة ولاسيما الأحمديين الباكستانيين بأن عقاب الله سيحلّ بأعداء الأحمدية وسيحلّ حتما إن شاء الله تعالى، ونرى مشاهد ذلك على نطاق بسيط من حين لآخر، ولكن إذا أردتم رؤية هذه المشاهد على نطاق واسع وعاجلا فليعلم كل أحمدي مقيم في باكستان أو من له صلة بباكستان أنه بحاجة ماسة لأن يزداد قربا وصلة بالله تعالى. فادفعوا الدنيا بعيدا عنكم وتَقدّموا في مجال قرب الله تعالى بلا انقطاع. علينا أن نسعى جاهدين للتقدم المستمر في هذا المجال لكي نرى هذه المشاهد بأسرع ما يمكن. كما يجب على الأحمديين في العالم كله أن يهتمّوا بهذا الأمر خاصة ليُقضى على حكم الشيطان في العالم عاجلا، ويقوم حكم المقربين إلى الله تعالى بسرعة. وفّقنا الله تعالى للقيام بهذه الأدعية، وأدخلنا في عباده المقربين. آمين.